ولو فتشت عن دخيلة ابن المعتز، لرأيت ألما قد بطن بلذة، وجحيما فى شبه نعيم

* * *

ثم تعال معى الى الحياة الاجتماعية. فخير الأمم من تألم للشر يصيبه، والضر يلحق به، وهل تحاول أمة أن تصلح مابها الا اذا بدأت فأحست بالالم، أوليس من علامة تماثل المريض للشفاء أن يحس بالألم بعد الغيبوبة — ثم من هو المصلح؟ أليس أكثر قومه ألما مما هم فيه. أوليس هو أبعدهم نظراً، وأصدقهم حسا. دعته رؤية مالم يروا، واحساسه ما لم يحسوا، أن يكون أعمق منهم ألماً وأشد منهم سخطاً، فلم يسعه الا أن يجهر بالاصلاح وان يتحمل منهم عن رضى ما يصيبه من ألم، لان ألم نفسه مما يرى بهم، أكبر من أى ألم يناله منهم؟ — وما الوطنية؟ أليست شعوراً بألم يتطلب العمل؟

ومن نعم الله أن أوجد أنواعا من الآلام هى آلام لذيذة تتطلبها النفوس الراقية وتعشقها. ولو عرض عليها ان تعوض عنها لذائذ صرفة لما قبلتها. فلو عرض على الفيلسوف المتألم لذة غنى جاهل لرفض فى غير تردد، ولو خير المصلح المجاهد ينغص عليه قومه، وينغص عليه غير قومه، وينغص عليه بعد نظره، وينغص عليه قوة شعوره ما اختار من حياته بديلا — ذلك لان آلامه سرى فيها نوع من اللذة لا يدركه الا العارفون، وأصبح يهيم بهذا الالم اللذيذ. ويرى اللذة الصرفة لذة أليمة — وكل ميسر لما خلق له.

***

أكره من الألم أن يكون ألماً يائسا، فهو يسلم للضعف فالموت، وأحب الألم الآمل فهو أبعث للقوة والحياة

وتعجبنى اللغة العربية إذ قاربت فى اللفظ بين الالم والأمل، وباعدت بين الألم واليأس، فاللهم لا تحرمنى الألم، ولكن قدّر أن يكون ألماً لذيذا.

أحمد أمين

سحب فى بلاد العرب

الحرب بين نجد واليمن

للاستاذ محمد عبد الله عنان

كان الخلاف يشتد منذ حين بين زعيمى الجزيرة العربية، جلالة ابن السعود ملك نجد والحجاز وسيادة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن. وكانت آمال العرب والمسلمين قوية فى أن ينتهى الزعيمان بالمفاوضة والحسنى الى حسم الخلاف القائم بينهما، وان يبذل كل ما فى وسعه لاتقاء حرب اهلية تشق الجزيرة بعوافها. ولكن العرب والمسلمين فجعوا أخيرا فى هذه الآمال، فوقع الخطب ونشبت الحرب فى الجزيرة للمرة الثانية خلال بضعة أشهر. وكانت قد نشبت فى الخريف الماضى بين القوات اليمنية والنجدية لنفس الخلاف الذى يثيرها اليوم؛ ولكنها أخمدت بسرعة وتغلبت الروية والحكمة يومئذ؛ وكان لصوت العرب والمسلمين أثره فى ذلك؛ فعاد الزعيمان الى التفاهم والمفاوضة، وعقد مؤتمر نجدى يمنى ليبحث وجوه الخلاف، وليحاول الوصول بها الى تسوية مرضية ولكنه لم يوفق فى مهمته لتمسك كل من الفريقين بوجهة نظره فكان تفاقم الخلاف، وكانت الحرب

وهذا الخلاف الذى يضرم الحرب فى جنوب الجزيرة العربية قديم يرجع الى أعوام بعيدة. ومنشؤه مسألة الحدود بين البلدين وتنازع السيادة بينهما على المناطق والاراضى الواقعة بين الحجاز واليمن، وهى تشمل ولاية عسير الواقعة فى جنوب الحجاز وشمال اليمن، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرق الحجاز وشمال شرق اليمن. وقد كانت السيادة فى عسير حتى سنة ١٩٢٢ مقسمة بين قبائل بنى شهر القوية فى قسمها الشرقى، وبين الادارسة فى قسمها الغربى وهو المعروف بتهامة؛ ففى سنة ١٩٢٢ اجتاحت القوات السعودية منطقة عسير الشرقية، وحطمت قبائل بنى شهر واستولت على أراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد. ولما استولى ابن السعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأى أن الاستيلاء على تهامة ضرورى لتأمين حدود الحجاز الجنوبية؛ ورأى الادارسة أن القوات النجدية تطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن

السعود والاستظلال بلوائه ؛ وعقد زعيمهم السيد الحسن الادريسى اتفاقا مع ملك نجد توضع عسير تهامه بمقتضاه تحت حماية نجد واشرافها (سنة ١٩٢٦) ؛ واستمر الأدارسة فى حكم البلاد تحت اشراف مندوب من قبل ملك نجد ؛ ولكن هذا الوضع الشاذ كان مثارا لمصاعب وخلافات لا نهاية لها ؛ واضطر السيد الادريسى فى النهاية أن يتخلى عن مهمة الحكم والادارة وأن يفوض الامر الى ملك نجد ؛ وشعر ابن السعود انه لايستطيع المحافظة على عسير الا اذا ضمها الى املاكه ، فاعلن ضمها فى سنة ١٩٣٠ ؛ ونزع الادارسة كل سلطان حقيقى ؛ وبذلك امتدت حدود المملكة السعودية الى شمال اليمن ، وزادت بذلك اسباب الاحتكاك بينهما . وكانت هذه الاسباب قائمة منذ استولى ابن السعود على اراضى بنى شهر (عسير الشرقية) ، واشرفت بذلك على منطقة نجران التى يدعى امام اليمن أنها من ملحقات مملكته وأن قبائلها تلتمس حمايته ، ويدعى ابن السعود أن قسما منها داخل فى اراضيه . ولكن استيلاء ابن السعود على امارة الادارسة كان أبعد فى استياء الامام وتوجسه من اشراف « الاخوان » على حدوده الشمالية . وكان للامام من قبل نفوذ قوى على الادارسة ، وكانت عرى التفاهم والتحالف بينهما قوية متينة ، وكان يرى دائما انه اولى وأحق بضم هذه المقاطعة الى املاكه من منافسه القوى الذى قصدها من قلب الجزيرة ، واستطاع فى اعوام قلائل ان يدفع حدود املاكه حتى البحر الاحمر غربا واليمن جنوبا ، ولكن الامام لم يكن فى ظروف تمكنه من الاقدام على هذه الخطوة لأنه فى الوقت الذى استولى فيه ابن السعود على عسير كان مشغولا بخصومته مع الانكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن ، وقد احتلها الانكليز بحجة أنها اختارت الحماية الانكليزية ، وأغارت أسرابهم الجوية على اليمن مرارا والقت قنابلها على صنعاء عاصمة اليمن ، ولم يستطع الامام يومئذ أن يفعل شيئا لمقاومة الغزو السعودى فى عسير

تلك هى أسباب الخلاف الجوهرية بين اليمن والمملكة السعودية . وقد استطاع ابن السعود والامام أن يتغلبا مدى حين على بواعث الخصومة ، وأن يتذرعا بالروية والتفاهم ، وأن يحسما أسباب الخصومة فى كثير من المواطن ؛ بل لقد انتهى التفاهم بينهما إلى أن عقدا معاهدة صداقة وحسن جوار فى سنة ١٩٣١ تعهد فيها كل منهما بمراعاة المودة والصداقة وتسليم المجرمين من رعايا الفريق الآخر ، وتبادل حقوق التوطن والاقامة بالنسبة لرعايا الدولتين ، ولكن هذه الجهود المحمودة فى سبيل الوفاق والتفاهم لم تنجح على مايظهر فى حسم أسباب الخلاف الحقيقى ؛ فواصلت بواعث الاحتكاك على مسائل الحدود تتفجر من آن لآخر . وفى سنة ١٩٣٢ انتقض الادارسة على عمال الحكومة السعودية ، واضطرمت فى عسير ثورة خطيرة وهو جمت القوات السعودية بشدة ، واصيبت بخسائر فادحة ، وردت عن بعض المواقع الهامة ؛ فبادر ابن السعود بارسال النجدات القوية إلى عسير ، وأخمدت الثورة بعد خطوب ، وفر الزعماء الادارسة إلى اليمن ، والتجأوا إلى حماية الامام . واستشعر ابن السعود على ما يظهر ريبا فى موقف الامام ازاء هذه الثورة ، وفى أنها ليست بعيدة عن وحيه وتدبيره ومؤازرته المعنوية على الاقل ، خصوصا وقد رفض ما طلبه ابن السعود من تسليم الزعماء الادارسة بالاستناد إلى المعاهدة المعقودة ؛ عندئذ عاد الخلاف بين الملكين إلى أشده ، واخذ كل منهما يحشد قواته على الحدود . ومع ذلك فقد حاول ابن السعود أن يبذل مجهودا اخيراً فى سبيل الوفاق والتفاهم ، فارسل إلى الامام وفدا للمفاوضة ، ولبث الوفد السعودى فى صنعاء عدة أسابيع دون أن يوفق إلى مفاوضة الامام أو التفاهم معه ؛ وقيل يومئذ إن الوفد وضع بأمر الامام أو بأمر ولده سيف الاسلام فى حالة اعتقال . وعلى أى حال فقد فشلت هذه المحاولة ، وتفاقم الخلاف حين تقدمت القوات اليمانية شمالا فى مقاطعة نجران ، واستولت على بعض مواقع فى جنوب تهامة ، واشتبك الفريقان يومئذ فى بعض المعارك المحلية ؛ واستشعر العالم العربى والاسلامى خطر هذه الحرب الاهلية فرفع صوته يحذر الزعيمين من عواقبها ، ويناشدهما حقن الدماء واتقاء الشر ، فوقف الحرب يومئذ فى بدايتها ، وأصغى الفريقان مدى حين لهذا النداء الحكيم

ولكن الحرب تعود تضطرم اليوم بين زعيمى الجزيرة العربية ويعود الخطر فيهدد مستقبل الجزيرة بشر العواقب . وأشد ما نخشى أن تكون المطامع والدسائس الاستعمارية جاثمة وراء هذه الحرب الاهلية تنفخ النار فيها ، وتترقب من خلالها فرص التدخل . ذلك أن المملكة السعودية بلغت من الضخامة والقوة حدا أضحى يشغل السياسة البريطانية . والمملكة السعودية (نجد وملحقاتها) تجاور بحدودها جميع مناطق النفوذ البريطانى فى شبه الجزيرة ؛ فهى تجاور العراق من الشمال الشرقى ، وتجاور شرق الاردن وفلسطين من الشمال

الغربي، وتجاور الكويت وعمان من الشرق، وتشرف على حضرموت من الجنوب ؛ وقد دلل ابن السعود في اكثر من فرصة على قوته ومنعة مملكته التي تشمل جميع اواسط الجزيرة من شرقها الى غربها ودلل بالاخص على أنه شديد الحرص على سلامة حدوده واراضيه لا يغضي عن أية محاولة تقوم بها السياسة البريطانية لتوسيع نفوذها داخل الجزيرة ، وقد رفض مرارا ما عرضته بريطانيا من الاتفاق معه على استثمار موارد الحجاز الطبيعية ، أو منحه قرضا يمكنها من التدخل في شئون مملكته ؛ وعلائق ابن السعود حسنة مع روسيا السوفيتية ، والتجارة السوفيتية منفوقة في الحجاز ، وهذا مالا يرضى بريطانيا . وابن السعود يدعي ملكية العقبة وما حولها من الاراضي التي تحتلها بريطانيا ، ويهدد بالاغارة عليها من حين لآخر ، حتى أن بريطانيا اضطرت ان تنشيء لها في العقبة مركزا بحريا ومركزا للطيران الحربي . فهذه العوامل والظروف كلها تحمل السياسة البريطانية على التوجس من صديقها القديم ابن السعود ومن ازدياد قوته ونفوذه داخل الجزيرة ، هذا واما اليمن فهي محط انظار السياسة الايطالية ، لان موقعها على الضفة الشرقية من البحر الاحمر تجاه مستعمرة اريتريا الايطالية الراقدة على ضفته الغربية يجعل لها في نظر ايطاليا أهمية خاصة . وقد توثقت العلائق بين اليمن وايطاليا منذ سنة ١٩٢٨ وزار روما يومئذ وفد يمني برئاسة سيف الاسلام ولد الامام ، واستقبل بمنتهى الحفاوة ؛ وعقدت بين اليمن وايطاليا معاهدة تجارية اقتصادية . وتقربت روسيا السوفيتية من اليمن ايضا وعقدت معها معاهدة ودية تجارية (سنة ١٩٢٩) وكان ذلك عاملا في جزع السياسة البريطانية وتطور سياستها نحو اليمن . ذلك أن بريطانيا تجاور اليمن في عدن اعظم مراكزها البحرية في البحر الاحمر ، وتحتل الى جانب عدن عدة مناطق أخرى تجاور اليمن من الجنوب الشرقي وينازعها الامام في ملكيتها . وكان الخلاف قويا مستمرا بين الانكليز والامام منذ أعوام طويلة ، والسياسة البريطانية تتردد بين خصومته وصداقته ، وتحاول إرغامه من وقت لآخر بتنظيم الغارات الجوية على اراضيه ، أن يعترف بملكيتها للمناطق التي تحتلها . فلما اتجه الامام نحو السياسة الايطالية ، وظهرت روسيا السوفيتية في الميدان تتقرب الى اليمن ، خشيت السياسة البريطانية عواقب هذه الخصومة ، فعادت الى مصانعة الامام ، ودارت بينهما مفاوضات انتهت اخيرا بعقد معاهدة يمنية بريطانية تعترف فيها بريطانيا العظمى باستقلال اليمن ، وتسوى فيها بعض المسائل المعلقة بين الفريقين ، وتنظم علائقهما . فهذه العوامل والظروف كلها مما يحمل على الاعتقاد بان اضطرام الخصومة بين الامام وابن السعود زعيمي الجزيرة العربية ليس مما يعنيهما وحدهما ، وان نشوب الحرب بين اليمن والمملكة السعودية مما يثير أشد الاهتمام من جانب السياستين البريطانية والايطالية ؛ ومن الصعب ان نحاول الآن ان نلتمس ما قد يكون لاحدى هاتين السياستين او لهما معا من عناصر الوحي أو التأثير في سير الظروف والحوادث التي أدت الى هذه الأزمة الخطيرة في علائق زعيمي الجزيرة العربية ؛ ولكن الذي لاريب فيه ان السياستين البريطانية والايطالية تترقب كل فرصها خلال هذه الحوادث ، وتبذل وسعها للاستفادة منها ، ودفعها الى الطريق الذي يتفق مع مصالحها وغاياتها

وليس هنا مقام التحدث عن المسئولية ، وعمن ترجع اليه التبعة في وقوع هذه الحرب التي تهدد مصاير الجزيرة العربية بشر العواقب ، فلكل من الفريقين المتخاصمين وجهة نظر ، ولكل أسبابه التي يستند اليها في تأييد موقفه . ويكفي اننا سردنا الحوادث والظروف التي أدت الى هذا الموقف . وهي كما يرى القارىء حوادث وظروف تجتمع وتتهيأ منذ عدة اعوام ، ثم اشتدت وتفاقمت في العامين الاخيرين . بيد أننا لا يسعنا إلا أن نعرب عما يخالجنا ويخالج العرب جميعا والمسلمين جميعا من الأسف والجزع لاضطراب افق الجزيرة العربية بهذا الحدث الخطير الذي لا تقتصر عواقبه على المملكة السعودية وحدها أو على اليمن وحدها ، ولكنها تلحق القضية العربية بأسرها . ونحن على يقين من أن جلالة عبد العزيز بن السعود ، وسيادة الامام يحيى يدرك كلاهما خطورة الموقف ويود أن يتقيه بكل ما وسع ؛ ولقد برهن كلاهما خلال الأعوام الأخيرة في اكثر من موطن على أنه يؤثر التذرع بالروية والحكمة وتؤثر الصفاء والسلام ، وقد استطاعا حتى اليوم أن يتجنبا كارثة الحرب ؛ فتلك هذه الحرب مهما كانت نتائجها بالنسبة للمملكة السعودية أو اليمن لا يمكن الا أن تكون شرا على مستقبل الجزيرة العربية ؛ وما تزال ثمة فرصة للهادنة والتفاهم ، فهلا بذل زعيما الجزيرة مجهودا اخيرا لتدارك الخطب وحقن الدماء ، فيحققا بذلك رجاء كل عربي وكل مسلم ، ويعيدا بذلك إلى الجزيرة سلامها وأمنها ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي